

ضرورة التجديد والتطور في مراحل الحياة

المكان: طهران

الزمان: 1390/1/23 ش. 1432/5/8 هـ. 2011/04/12 م.

الحضور: مجموعة من الشخصيات الثقافية والسياسية

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله سبحانه أن يبارك لكم أيها الإخوة والأخوات ولذويكم العام الجديد، راجين لكم ولشعبنا الكريم عاماً مليئاً بالخير والبهجة والسرور. طبعاً إن جزءاً من ذلك يقع على عاتقنا، فنحن بسلو كنا وباختيارنا نحدد مصير حياتنا أ تكون مباركة أم غير مباركة. بمعنى أن الإنسان باختياره يحدد مصيره النهائي. فقد أودع الله سبحانه فينا القابلية والاستعداد «وهديناه التّجدين» (1) على اختيار أحد الطريقتين. طبعاً أحياناً تكون الظروف مساعدة فيكون الاختيار سهلاً، لكن في أحيان أخرى تكون الظروف معقدة فيكون الاختيار صعباً، لكن في النهاية لا بدّ من الاختيار في سائر الأمور.

عندما نكرر ذكر «اهدنا الصّراط المستقيم» (2) في سورة الحمد المباركة يومياً مرات عديدة، فهذا يعني أن الصراط المستقيم الذي نسير فيه — على فرض أننا عرفنا الصراط والتزمنا به — يصل في كل لحظة إلى مفترق طرق. فالصراط ليس نفقاً يدخله المرء ويضمن خروجه من الناحية الأخرى — أو كسكة الحديد — كلا، فهناك مفترقات طرق عديدة، هناك تقاطعات عديدة تقع على مسير الصراط المستقيم لا بدّ من التعرّف عليها واختيار الناحية الصواب منها. وهذا هو المراد من (إهدنا) التي نكررها يومياً، أي: اليوم (إهدنا)، وغداً (إهدنا) وبعد غدٍ (إهدنا)، وفي هذا الموقف (إهدنا)، وفي ذلك الموقف (إهدنا).

ولا نريد هنا أن نعقد الأمر أو نجعله مستحيلاً، كلا، فالله سبحانه وتعالى قد وضع البيّنات بين يدي الجميع «ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون» (3)، فليس الأمر أننا لو

افتقدنا وسيلة الهداية والمحرّفت مسيرتنا، سيؤاخذنا البارئ تعالى أو يعذبنا، كلا، فهو تعالى قد أتى كل نفس هداها. طبعاً هناك موارد تستثنى من هذه القاعدة الكلية، لكن مقتضى القاعدة، قاعدة الهداية الإلهية هو هذا.

أمّا (النوروز) فالمراد به: العام الجديد — وأياً كانت التسمية فالمعنى واحد، وتسميته بالنوروز تسمية مناسبة على كل حال — وهو أمر جيّد للغاية، لأنّ وضع مقاطع أو مراحل زمنية جديدة في مجرى الحياة أمر نافع. فلو استمرّت الحياة بشكل نمطي دون أن يمرّ الإنسان بمراحل أو مقاطع جديدة، فمن الطبيعي أنّه لن يفكر بالتجديد، أو التطوير أو التحديث. لذلك فمن فوائد جعل المقاطع الزمنية في مجرى الحياة هو أن يتأمّل الإنسان ويقول: جيّد، إنّ العام السابق قد انتهى، وبدأنا عاماً جديداً، والعام الجديد يعني عمل جديد، فكر جديد، عزم جديد، دوافع ومحفزات جديدة. كما نجد ذلك سائداً لدى مجتمعاتنا ومجتمعات العالم أجمع، فعندما يحلّ العام الجديد، يرتدي الناس ملابس جديدة، ويجددون منازلهم.. الخ، النوروز إذن يعني حلول مرحلة جديدة.

والفائدة المرجوة من وجود مرحلة جديدة، من وجود مقطع زمني جديد هي أن يكتسب الإنسان فرصة للتفكير في أفعاله السابقة وأفعاله المستقبلية، فيقول على سبيل المثال: السنة الماضية انتهت وكانت لدينا المشاكل التالية، فلنبداً من هذا العام بتلافيها ومحاولة الإصلاح. وهذا الأمر يمكن تعميمه على كافة مجالات الحياة.

وبرأيي فإنّ أولى القضايا التي تستحق أن يقف عندها المرء ويتأمّل فيها، علاقته بالله سبحانه. ففي بدء العام الجديد لا بدّ أن يدرك الإنسان أنّ العام الماضي والذي سبقه من الأعوام قد انقضت بأي نحو من الأنحاء، والآن لدينا مرحلة زمنية جديدة، علينا أن نعيد التفكير في علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، سواء بالجانب السلبي منها أم الإيجابي، والمراد بالجانب السلبي: الإثم. فالإنسان قد اعتاد ارتكاب بعض الذنوب، لدرجة أنّه أصبح لا يعي خطورتها أو غافلاً عنها. لكنّه ما إن يقف ويتأمّل قليلاً حتى يدرك انعكاساتها على سلوكه، طبعاً لا يخفى أنّ الإنسان في الغالب يحسن الظن بنفسه، ونادراً ما يسيء الظن بها. وهذه هي مشكلة الإنسان؛ أنّه قد اعتاد أن يبرّر كل سلوك أو كل فعل من أفعاله، لكن مع ذلك ليس الأمر مستعصياً أو مستحيلاً، فالله سبحانه وتعالى سيحتج علينا، كما أنّه سبق وأنّ حجتنا. لذلك علينا التأمّل بدقة وبإمعان، وسنكتشف ذلك.

إنَّ لقلب الإنسان ولروحه ووجدانه باطناً صادقاً معه، فإذا كان ظاهر القلب مخادعاً فباطنه دون شك صادق معه. ففي أحد المواقف كان إمامنا [الحميني] (رضوان الله عليه) يقول: إنَّ باطن قلبي أيضاً لا يجزن من هذا الموضوع. والواقع كذلك، فللقب باطن نادراً ما نلتفت إليه، ولو التفت الإنسان إليه لوجد نفسه مكشوفاً ومفضوحاً أمام نفسه.

وكما تقدّم فأحياناً يعتاد الإنسان على ارتكاب بعض الآثام مستصغراً ومحتقراً لها، وبالتالي فإنَّ من الأمور التي يمكن فعلها في العام الجديد، هو أن يتأمل الإنسان في كيفية وضع حد لفعل الموبقات، أي يبدأ بإحصائها وكتابتها.

في العام الماضي أو العام الذي سبقه، وبينما كنت أطلع سيرة الشهيد أفشردى (باقرى) — أو أحد الشهداء الآخرين — لفت انتباهي أن ذلك الشهيد كان يدوّن ذنوبه التي صدرت منه مساء كل يوم، وقد ورد هذا أيضاً في وصايا علماء الأخلاق وفي بعض الأخبار أيضاً، أي محاولة الإنسان تدوين ذنوبه التي ارتكبها ومحاسبة نفسه كل ليلة. فقد كان الشهيد يقوم بذلك. ألا نستطيع نحن أن نكتب رواية عن أنفسنا ومن ثم نعلن عنها، على الأقل بيننا وبين أنفسنا. لقد كتب الشهيد في مذكراته على سبيل المثال: لقد وجدت نفسي هذه الليلة أنني ارتكبت ذنوباً عديدة في ذلك النهار.

إنَّ محاسبة النفس أمر مفيد جداً. على الإنسان أن يحاسب نفسه، ويبدأ بالحد من ذنوبه واحداً تلو الآخر. فنحن اعتدنا ارتكاب بعض الموبقات — أحياناً يعتاد المرء على خمس أو ست أو عشرة ذنوب — ولا بدّ من العزم على تركها واحداً تلو الآخر إلى الأبد، لا بدّ من تجنّب نقاط الضعف هذه.

والأمر كذلك بالنسبة للجانب الإيجابي من الموضوع، وبرأيي فلتكن البداية من الصلاة — وذلك لخطورتها وأهميتها — فالاهتمام بما يساهم في تذليل الكثير من العقبات وحلحلة المشاكل والأزمات. ولا بدّ للإنسان أن يأتي بالصلاة تامة على أحسن وجه ويكون ملتفتاً خاشعاً فيها. والمراد من الخشوع: عدم الغفلة عمّا يقول وعمّا يدور في خاطره، بمعنى أن لا يكون كالذي لا يعي ما يقول. فعلى سبيل المثال أنا جالس أتحدّث إليكم وأنتم تصغون لي فأنتم مخاطبون، والإنسان عندما يتحدّث لا بدّ أن يعي بأنّ هناك مخاطباً يستمع إليه. وهكذا بالنسبة للصلاة، فلا

بدّ أن ندرك بأنّ هناك من نتحدّث إليه ويستمع إلينا. بل يسعني القول: إنّ من لم يدرك مفهوم الصلاة أو لم يع المراد من هذه الكلمة، لكنّه يدرك أنّه واقف أمام الله سبحانه ويتحدّث إليه، فهو حسبه في القربة إلى الله — «[الصلاة] قربان كلّ تقّي» (4) — إنّ لا شك أفضل من حالنا، نحن الذين ندرك معنى الصلاة، وندرك تفسيرها، وطالعنا حولها كتباً عديدة، لكن عندما نقف إلى الصلاة نغفل بالمرّة عمّا نقوم به، كما يقول الشاعر (صائب) — ولا أتذكر نصّ البيت الشعري الآن لكنني أتذكر معناه — أنت تتذكر في الصلاة كل شيء إلاّ الله سبحانه، بل لو أضعت شيئاً لعثرت عليه في الصلاة.

فالصلاة أمر حسن، والخشوع — أي الالتفات إلى أنّنا نتحدّث إلى مخاطب — بداية حسنة، والصلاة في وقتها كذلك، وصلاة الجماعة كذلك، والنوافل كذلك، وهكذا يمكن للمرء أن يوسع قائمة برنامجهِ اليومية شيئاً فشيئاً. والأمر يتطلّب قليلاً من الهمة والعزم وسيكون العام الجديد حافلاً بهذه الخيرات والبركات إن شاء الله.

طبعاً لا يخفى أنّ لكلّ منّا التزامات أخرى، أعمال، مناسك خاصة في حياتنا فلنحاول جاهدين الارتقاء بما وإتيانها على أكمل وجه وجعلها إلهية أكثر ممّا مضى، وبطبيعة الحال فالآثار التي ستعكس عنها ستكون مضاعفةً كماً وكيفاً.

نسأل الله أن يمنّ عليكم بالخير والسؤدد، ويبارك لكم جميعاً ولشعبنا العام الجديد بالمعنى الذي أسلفنا ذكره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

1 - سورة البلد، الآية 10.

2 - سورة الفاتحة، الآية 6.

3 - سورة الأنعام، الآية 131.

4 - فحج البلاغة، الحكمة 134.